تمدن مدينة تريم في الإسلام

ناجي جعفر مرعي الكثيري*

الملخص

المدينة في الإسلام أكثر ولعاً بالتجديد وأكثر انبهاراً بالمعرفة، لذا لازم اهتمامها بالتغيير نحو التحضر صلتها بثقافة التمدن ، وذلك بدافع من فكر وعقيدة وانعكاس لهما ، فالإسلام حث المستقرات الإجتماعية على التمدن، لأن في هذا ما يدل على رقي مراكز الاستيطان ، وبه تعد المدينة مناراً للتطور التمدني مرتبطة وظيفياً وجمالياً ورخاءً بمقاصد الإسلام .

ومدينة تريم من تلكم المدن، التي عُرف عنها عشقها الدفين لأسباب التمدن ، وقد مهد لها الإسلام النقلة الحضارية صوب التمدن ، مستمدة منه دواعي التمدن ، حتى انفرد هذا التمدن دون غيره من المدنيات الإسلامية جنوب شبه الجزيرة العربية بمزايا ثقافية وعمرانية فائقة التأثير ، تناقل أخبارها المؤرخون الثقاة والدعاة والولاة منذ صدر الإسلام وعبر قرون لاحقة من تاريخ تطورها التمدني العام .

إن من شواهد التمدن لمدينة تريم نجاح التريميين من تطويع تقنية وسائل التمدن لمصلحة تطور مجتمعهم الثقافي ، وذلك على يد جموع المهرة من الفئات المنتجة المتحضرة بالمدينة ،مما أضاف سمة تمدنية بقالب إسلامي غاية في الإتقان والإبداع ،هيأ انتقال المدينة إلى مصاف المستقرات التمدنية الإسلامية الزاخرة ، في حين كان للنسق الإداري الإسلامي تأثيره في تطور الوحدات التمدنية بالمجتمع ، وتمثل المؤسسة المدرسة بمحيط المسجد وتنوع فن العمارة من مظاهر التمدن الثقافي الإسلامي المبكرة للمدينة تريم ، وهذا أضاف جمالاً خلاباً لملامح مدنية المدينة فيمابعد ، حينما أظهر ذلك تأثير ديناميكية التمدن وجاذبيته المطردة للتحضر في مجتمع المدينة ،وأوجد إمكانية احتواء ضغوط التطور التمدني الوافد من خارج المدنيات الإسلامية ، وكيفية استيعابها بالقدر الملائم لمعطيات التمدن الإسلامي وغاياته في التجديد والنما المجتمعي الرشيد .

المقدمة:

دراسات التمدن للمدينة الإسلامية من الدراسات الحديثة المعنية بالمدينة كوحدة أساسية وكنموذج للحضارة العربية الإسلامية، تستهدف تحليل تركيبها الداخلي وإظهار سماتها وخصائصها وإبراز أثرها الحضاري العربي الإسلامي، فالمدينة وليدة الحضارة أو بتعبير آخر المدينة هي الحضارة.

تعنى دراسات التمدن بدراسة التكوين التاريخي للتمدن ووظائف المدينة الأصلية والمكتسبة، وأنه من خلال مراحل تطور المدينة التمدني، نتمكن من فهم ما وصلت إليه مظاهرها التمدنيه من تطور، وفهم أثرها الحضاري في الحاضر.

لقد أثبتت الدراسات الأثرية في كثير من بلدان العالم الإسلامي سعة التمدن الإسلامي مقارنة بفترات التمدن الساساني والبيزنطي السابقة عليه ، لذا فأن نمو البلاد الإسلامية قد وصل إلى مستوى عظيم من التطور التمدني خلال الأزمنة المتعاقبة من تاريخ الإسلام الحضاري في العصر الوسيط ، وأشارت الدراسات في هذا ، إلى أن نصف المدن التى تأسست في العصر الإسلامي الحديث وأخذت بأسباب التمدن ، قد كانت من صنع تلك الفترة الإسلامية ، وخاصة التمدن الذى صاحب الرخاء في عدد من المدن الإسلامية في شمال أفريقية ودمشق وأنطاكية وبلاد وادي الرافدين .

* أستاذ مشارك بقسم التاريخ ــ كلية الآداب ــ جامعة حضرموت

إن المدينة في الإسلام من حيث اللفظ والدلالة، تُعبر عن مراحل من التمدن المنجز، لا تكتمل مظاهرها التمدنية وتطورها التام إلا في ضمن معايير التمدن المجتمعي الإسلامي، والمقارنة – إن وجدت – بين المدن الإسلامية بعضها ببعض أو بغيرها، لا تتأتى إلا إذا اقترنت بمصفوفة هذه المعايير التقويمية للتمدن في الإسلام .

لقد بات التمدن بالمدائن والأمصار الإسلامية مدعاة للتعاضد والتوازن والمؤانسة ، حيث يجتمع الناس في هيئة مدنية بقصد التفاعل والتواصل النافع ، وفي ارتباط لاينفصم عن المفهوم الإسلامي للتحضر باعتبار أن الإسلام دين مدني ، يلبي معطيات التطور التمدني ويواكب متغيراته الحضارية .

أهمية البحث ومنهجه:

تنظر الدراسة في الخبر والأثر من تاريخ صلة تريم بأسباب التمدن في الإسلام، وذلك من وجهة نظر دراسات حقل التمدن، ويتمحور جلَّ الموضوع في جانبه الحضاري.

وأهمية الدراسة في جديد موضوعها وأسلوب عرضها للمعلومات المستقاة، فما زالت الدراسات التاريخية عن التمدن في الإسلام وتمثلها المدينة كنموذج قليلة العدد، وسوف تظل الكتابات النقدية المقارنة لعدد من المؤرخين وعلماء الآثار وعلماء الاجتماع العرب والأجانب المحدثين ذات قيمة، والحاجة لمزيد من الدراسات والأبحاث العلمية في هذا المجال، خاصة كلما ازداد تحامل المستشرقيين على اختلاف مشاربهم على الإسلام وحضارته.

يمهد الموضوع المجال للكتابة في تاريخ حضرموت التاريخي الاثنوغرافي العام، ليس لنا بد من فهمه وتوثيقه، وتضيء جانباً من حضارة تريم في الإسلام، فالتمدن لازم تاريخها الأثنوغرافي طيلة ألف وأربعمائة عام ونيف في رحاب الإسلام، على ذوي الاختصاص من أساتذة الأجتماع والتاريخ الإسلامي وحضارته سبر أغواره .

اعتمد الباحث المنهج التاريخي في جمع المادة العلمية المتاحة وعرضها وترتيبها، ولجأ إلى المنهج النقدي كلما فرض السياق إشارة إلى تجاوز أو إمساس للحقائق التاريخية في عدد من الكتابات الاستشراقيه.

وحسب علمنا فالدراسة محاولة غير مسبوقة في الكتابة عن تاريخ علاقة تريم بأسباب التمدن في الإسلام، فلم نجد من الاهتمامات البحثية العلمية الوافية ما تطرق إلى تمدن تريم عبر تاريخها الحضاري العام، ، اللهم إلاَّ مجموعة من التقارير الميدانية والدراسات الاثنوغرافية المقتضبة لعدد من الرحالة والباحثين الجغرافيين والأثنوغرافيين الأجانب الذين زاروا حضرموت في القرن الماضي منذ حوالي عام 1870 إلى عام 1983، وقد أسفرت عن كتابات متناثرة عن أحوال تريم الاجتماعية وعن العمارة التريمية، في سياق كتاباتهم عن بلاد حضرموت المترامية، ترجم بعضها من الإنجليزية والروسية والألمانية إلى العربية، وهي بحاجة اليوم إلى جهود علمية مشتركة لتحقيقها وتوثيقها، وهذا من اختصاص أساتذة الأركيولوجيا والأثنوغرافيا وعلم الاجتماع والتاريخ الحضاري .

قِدم تمدن تريم:

دراسة التمدن أو التحضر Urbanizationمعنية بعلاقة خصائص المدينة بتطورها الحضاري العام

،نستدل من خلاله على ما وصلت إليه المدينة من العمران فيما تتطلبه حياة الناس أو اجتماع الناس واستقرارهم في المكان ، والتحضر مدعاة لتكوّن المستقرات أو المستوطنات المأهولة بالناس،فلا تمدن للمدينة إذا لم يُستوفَ العمران الحضري ويكثر وتكتمل صنعته[1].

ظهر هذا الحقل من الدراسات حديثاً في عدد من الكتب والمقالات العلمية المتخصصة عن المدينة الأوربية في العصور الوسطى وفترة ما قبل الثورة الصناعية وما بعدها، لدراسة التطورات الاقتصادية والتخطيطية والعمرانية والتقنية، أي عن طبيعة التمدن في المدينة الأوربية الحديثة، ومعظمها باللغة الإنجليزية والفرنسية لكتاب متخصصين من علماء التاريخ وعلم الاجتماع وجغرافيين وأثريين[2]. وقد حاولت مراكز الأبحاث والدراسات بالجامعات الأوربية وبالجهات ذات العلاقة بالدراسات النقدية المقارنة جمع معظم الأوراق والمقالات المنجزة عن التمدن على هامش عدد من الندوات والمؤتمرات في أكثر من مدينة أوربية وأمريكية منذ الخمسينيات من القرن الماضي.

أما عن دراسات التمدن للمدن العربية والإسلامية من قبل العلماء العرب والمسلمين المحدثين، فما أنجز من الكتابات باللغة العربية أو بغيرها أدنى من الطموح بكثير، رغم رصانة فلسفتها ونظرياتها تجاه التمدن من حيث كونها دراسات وصفيه أحياناً Descriptive وأخرى ما عرف بالدراسات التركيبية Structural وهذه تعني بالعوامل المحيطة الاجتماعية الاقتصادية الثقافية والدينية والتي تؤثر بثقلها الخارجي في نمط تمدن المدينة.

في بقاع الأرض مدن كثيرة شيدت بدافع من طموح لحاكم أو قبيلة أو دولة، أو كمستقر اجتماعي بدافع من تجارة أو زراعة أو ديانة،ثم تتخطى بعد حين معطيات مراحل التأسيس إلى مقتضيات الحياة المستقرة بتأثير ثقافة ما، تجد فيها من لوازم التطور الحياتي النافع للمكان والمكين ما يؤهلها على التغيير،وما إن تزهو بالمكانة والمنافع حتى يشار إليها بالبنان وتعد من شواهد المكان ورموزه المذكورة. وهكذا يمضي بها الزمان إلى أن تتجاوز مسافة الجغرافيا من حيث هي البدايات، إلى مراتب المجتمعات الحضارية المتمدنة، حيث تتمدد بالتمدن طبوغرافية المدينة، وتضمحل ميكانيكا المؤثرات المقننة لتتسع عوضاً عنها منافذ التأثير الحضاري العام، ويصبح لديناميكية الإنجاز التفوق المسموع ، حينها يتمحور المسار نحو التغيير الملحوظ وتبدو المدينة أكثر ولعاً بالتجديد وأكثر انبهاراً بالمعرفة.

تريم من تلكم المدن التي عُرف عنها صلتها المبكرة بأسباب التمدن ، منذ العهد السبئي قبل ميلاد المسيح عليه السلام – بداية عمرها الافتراضي كمستقر حضاري – أو منذ زمن الحكم الحميري في الثلاثمائة عام بعد الميلاد حينما تناقل التجار العرب عن المدينة أخبار العمارة والتجارة ، في حين مازالت المعلومات حول نشوء المدينة قيد الدراسات الأركيولوجية للتثبت من تاريخ عصر التأسيس،وأن ما يرد عن تأسيس مدينة تريم بحسب المعلومات المتاحة إنما يأتي في ضمن السياق العام لمدن حضرموت مثل شبام وحريضة ، إذ ترجح النصوص النقشية بداياتها في حوالي القرنين الثالث والرابع قبل الميلاد[3]،وأن صلتها المبكرة بالعمارة

كالحصون والقلاع والأسوار والمنازل العالية وبالنشاط الطبوغرافي الاجتماعي وبالزراعة كان في القرن الثالث بعد الميلاد[4]، فهي من مدن جنوب شبه الجزيرة العربية ، وقد استمد الزمان خصائصها التمدنية من عبق حضارة حضرموت بحدودها التاريخيه من مملكة قتبان غرباً إلى بلاد عمان شرقاً ومن البحر العربي جنوباً إلى رمال الأحقاف شمالاً .

غدت تريم بموقعها على المدخل الشرقي لوادي حضرموت الكبير الذي يُعدّ من أكبر وديان الجزيرة العربية في امتداده وسعته ، ملتقى للقوافل التجارية المارة وهي في طريقها إلى الإحساء وجنوب العراق عبر صحراء الربع الخالي ، جعلها هذا من بين مدن حضرموت التي أسهمت عبر عصور لاحقة من تاريخها الاقتصادي في رواج نشاط حضرموت التجاري ،كذلك تنفرد تريم برونقها الزراعي الجميل فهي أشبه بواحة خضراء تحف بها بساتين النخيل الوارفة وتحتضن عدداً من منظومات الري المتقنة ،وتعد من أشهر المدن الخصبة المعروفة عنها زراعتها المتحضرة ، لذلك بدت المدينة بموقعها وبرقي مستوى حياتها التجارية والزراعية مقصداً للوافدين إليها من التجار والساسة الطامعين ، وكان لهذا أثره الثقافي والفكري على نمط تمدنها الحضاري .

صلة تريم بالتمدن قديمة قدم حضارة جنوب بلاد العرب، سيما تاريخها التمدني الديني والعمراني، ففي صلتها بالأديان قبل ظهور الإسلام ما يدل على ملامحها التمدنيه الأولى، فقد لازم الدين وأثره الحضاري بدايات تاريخها الاجتماعي والثقافي المبكر، نجد هذا في صلتها بالنصرانية، في ما ذكر عن بناء معبد (كنيسة) في تريم خاص بالقديس سرجيوس، من القديسين النصارى الذي ارتبط اسمه بنشاط المبشرين النصارى في حضرموت[5]. ولربما لتلك الصلة أثر لاحق في خصائص العمارة الدينية بالمدينة، فقد نقل المبشرون النصارى إلى جنوب بلاد العرب استخدام الزخرف (الموازئيك) وهو من زخارف الحوائط المزجج الدقيق الصنع ، ونقلوا كذلك الرخام الملون في بناء الكنائس، فهل لذلك ثمة تأثير استمدت منه العمارة التريمية بعض ملامحه ؟، أو اندثرت ملامحه كونها لا تمت بصلة للثقافة المعمارية المحلية الحضرمية ورفض أهل المدن لها في إطار الموقف الرافض التام للنصرانية وأعوانهم في البلاد[6].

المعلوم أن لا أثر في حاضر اليوم لأي موقع عبادة للنصرانية أو على وجود بقايا كنيسة في تريم، ومع ذلك يظل الاسم (سرجيس) الذي ورد بأنه تعريف لمسجد (مسجد سرجيس) والذي يعود تاريخه إلى القرن الأول الهجري[7]، مثار بحث، فقد أشار خبراء المنظمة الدولية للثقافة والتربية والعلوم في أبريل عام 1979م إلى ضرورة صيانته قبل زوال معالمه المعمارية[8]. وإذا ثبت صلة الموقع بالنصرانية فهذا من نتاج النصرانية المنتشرة في نجران وأرجاء مأرب وفي بلاد الهجرين بحضرموت، زمن تبوء نجران كرسي الأساقفة في العقد الثاني من القرن السادس الميلادي[9]، وما نتج عنه من رواج للمسيحية على طرق القوافل التجارية، وذلك قبل انحسارها في نواحي حضرموت وفي ظفار وعدن مع نهاية القرن السادس وحلول القرن السابع الميلادي[10].

إن قدم ملامح المدينة الدينية وما يتصل بها من الطرز المعمارية لدور العبادة، هيأ للمدينة خصائصها التمدنية المتفردة قياساً بغيرها من مدن حضرموت التاريخية خلال القرون الميلادية الأولى والقرون المتأخرة من ما قبل ظهور الإسلام، وجعلها من مواطن الاستقرار الاجتماعي، ومستقراً للاقتصاد التجاري ومقراً للحكام ودولهم، لذلك غدت تربة صالحة لنمو بذرة الإسلام في مطلع العقد الثاني من القرن السابع الميلادي.

كان عهدها بالإسلام وبزيارة الصحابة الكرام مبكراً، وعهدها بالذود عن الإسلام مجداً مبكراً هو الآخر زمن خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فهي من المدن التي احتضنت الشهداء الصحابة الأبرار في أثناء إخماد الردة المفجوعة بنواحي المدينة بعد أن حاصرها المرتدون، وحصن النُّجيَرْ من أطلال ذلك العصر ومن شواهد أحداثه الجسيمة[11]. وتمثل استماتة التريميين إلى جانب الصحابة للذود عن الإسلام في حروب الردة أرقى أشكال التعاضد والموازرة، ورسم الحدث وجهة المسار الذي حفظ للمدينة مكانتها الاعتبارية – الدينية والإدارية –عبر مراحل تطور تاريخها التمدني الإسلامي، تجلى ذلك منذ القرن السادس الهجري حينما تألق الأثر الريادي لزوايا العلم بالمدينة .

مضى المقام بالمدينة ناصعاً في شقه الحضاري الثاني – العمارة – وتريم مرتع خصب لفنون العمارة الزاهية، من أبرزها عمارة دور العبادة إلى جانب عمارة المنشآت الدفاعية من الحصون والقلاع والأسوار والبوابات والأبراج ، علاوة على القصور والبيوت والأسواق. وقد حظيت عمارة المساجد بالمدينة بعناية الصحابة التابعين بدافع رفعة الدين ونصره، ولكن نظراً لغياب الوعي المسئول وعدم الاكتراث بأعمال الترميم والصيانة لآثار المدينة ومعالمها التاريخية، اندثرت أطلال كثير من المساجد شأنها شأن كثير من المواقع الأثرية المطمورة.

تريم حكاية سجل زآخر بالمدنية، حوت من مقومات الحياة التمدنية أسسها ومقدماتها ومعطياتها وفنونها وأسباب تطورها المطرد، وللإسلام في كل ذلك الأثر الحضاري الفائق .

تمدن تريم على ضوء دراسات التمدن:

القبول من عدمه لكثير من وجهات النظر في الدراسات التاريخية والاجتماعية وفي الدراسات الأثنوغرافية والجغرافية عن تمدن المجتمعات العربية الإسلامية، لا يتأتى بمنأى عن النظرة الجامعة للمفهوم التاريخي الحضاري العام للمدينة، وإن كان لبعض المجتمعات حضور مميز في مظهر أو أكثر من مظاهر التمدن. لذلك فالمدينة الأكثر تمدناً تلك التي تعج بالوحدات التمدنية المتعددة من دينية اجتماعية اقتصادية ثقافية وعمران،ولهذا من الخطأ النظر في نشأة وتمدن المدينة على إنها مدينة دينية أو حربية أو تجارية دون معرفة صلة هذه الوحدات التمدنية بحركة المجتمع وتطوره الحضاري العام وتعقب سجل مراحل تطور متغيراته التمدنية عبر العصور.

تريم أقرب إلى المدينة الجامعة لأكثر الملامح التمدنية، فهي على غرار المدن المتمدنة التي تكون في الغالب نتاج تطور وحداتها التمدنية، والتي عبر

عنها المستشرقون بالمدينة وليدة الحضارة أو المدينة هي الحضارة[12]. وهذا الوصف لا يقلل من صلابة الوحدة التمدنية على حدة إذا تفوق تأثيرها التمدني على سائر الوحدات التمدنية الأخرى بالمدينة،ظهر هذا واضحاً بالنسبة لمدينة تريم بعد ظهور الإسلام، حينما بادر الدين الجديد في رسم ملامحه الإسلامية على ما سواه من المظاهر التمدنية، وكيف اصطبغ بتأثيره المجتمع بصبغة دينية ظل لها الغلبة على ما سواها من مظاهر الحياة العامة. وقد تحدث أساتذة التمدن Urbanists عن مثل هذه المدن على أنها من المجتمعات التي أسهم الدين في تطورها المدني المتنامي السريع[13] وأن المدينة في تصورهم على ذلك النحو ما هي إلا فعل ديني[14].

لذلك نجد في تطور المجتمعات شكلاً من الريادة لأحدى المظاهر التمدنية في تأثيره في تمدن المجتمع إلى جانب الأثر الثانوي لملامح التمدن الأخرى، ومن هنا ترجح بعض الدراسات إحدى الملامح في تأثيرها المباشر على تمدن المدينة ولكنه ليس بالعامل الأساس كالعامل الديني مثلاً[15]. أو ترجح مظاهر السلطة الحاكمة النافذة في تأثيرها المباشر في نشوء وتطور المدن، كما هو عند علماء الاجتماع التمدني الذين يرون بالضرورة من وجود نظام الحكم والإدارة لازدهار المدينة وتمدنها، ومنها المدن التي تحمل صفة المدن التجارية التي يتطلب تمدنها وجوداً مباشراً أو غير مباشر للإدارة الحاكمة الفاعلة[16].

جديرة بالاهتمام الدراسات النقدية المقارنة في مجال دراسات التمدن، والتي على وفق منهجها العلمي بالإمكان اختيار مدينة تريم نموذجاً للمقارنة مع نماذج من المدن الحضارية العربية والإسلامية، لبحث الأوجه المشتركة والأوجه المتباينة بينها عبر تاريخها التمدني،على أن تتجه الدراسة إلى تعليل وتحليل أثر الملامح المجتمعية وتطوراتها المدنية مجتمعة، وتلمس الفارق في أثر هذه الملامح إذا ما تحقق الأثر المضاعف لظاهره من دون ملامح التمدن الأخرى. ففي نظرة التاريخ الحضاري للمدينة، التأكيد على ما يميز نشؤها وموقعها وخصائص ترآثها وتنوعه وصدى منجزاتها وتأثيرها الثقافي المحلي أو الإقليمي أو العالمي. بذلك نتعرف على نمط تمدن تريم وعلى تطورها التمدني في رحاب الإسلام، وعلى ما سبق لها من تطور طيلة قرون من الزمان البعيد ما قبل ميلاد المسيح عليه السلام إلى بداية القرن السابع الميلادي.

إن دراسة المدينة العربية الإسلامية على ضوء معطيات الدراسات التمدنية، تسهم في فهم نمط التمدن Process of Urbanization والمقارنة بين مظاهرها التمدنية، ومن تلك الدراسات وصف الحموي (ت 626 هـ) لطبوغرافية المكان ومنشأته العمرانية وخيراته الزراعية والتجارية وصلة هذا بالأحداث السياسية والدينية[17]، وأن في هذا ما يمثل السمات التمدنية للمدينة، بل هي جلّ معطياتها الحضارية التي ينبغي النظر إليها في سياق النظر إلى المدينة الإسلامية من موضعها في حركة التمدن، ومن مخزونها الأثري وأثرها التاريخي في صناعة الحدث.

أما الدراسات الاستشراقيه في مجال التمدن الإسلامي[18]، على الرغم من قلة استشهادها

بالمصادر الإسلامية وتبنيها معايير عامة، ونظرتها إلى الشرق الإسلامي نظرة تتسم بالكثير من التشويه والتحامل[19]، فقد أرست عدداً من المسائل المهمة المتعلقة بالمدن الإسلامية، منها الأثر الفعال للإسلام في تركيب المدينة ووجود المؤسسات والخصائص المتشابهة ووحدة التركيب لكثير من المدن الإسلامية[20]، والمآخذ على هذه الدراسات في كثير منها، محاولاتها المقارنة بين المدينة العربية الإسلامية والمدينة الأوربية دون مراعاة السمات والخصوصيات المحلية والإسلامية، بينما تتجه بعضها إلى طمس معالم المدينة الإسلامية وإفراغ خصائصها من محتواها الحضاري – العربي الإسلامي – أو النظر إلى التمدن في الإسلام بمعزل عن حركته المتنامية وتعاقبه التاريخي ومعطياته الإسلامية وتعاظم وأثره ونتائجه[21].

ومدينة تريم من المدن الإسلامية التي حظيت باهتمام المستشرقين من علماء التاريخ والاجتماع والجغرافيا، لصلة تاريخها العام بالتمدن الإسلامي، ومواكبة مجتمعها التمدني للمتغيرات التمدنية المحلية وللمؤثرات التمدنية من خارجها، علاوة على تنوع وحداتها الوظيفية المجتمعية المستمدة من خصائصها الطبوغرافية والأثنوغرافية، ومن سماتها الدينية والمعمارية، فقد نشأت كبيرة منذ بداية تأسيسها كمدينة[22]، لتكون قاعدة حضرموت أو بمثابة العاصمة لحضرموت القديمة ومقراً للملوك[23]. وبهذا الوصف تعد من بين المدن المشار إليها باللفظ السبئي هجر HGR الدال على المدينة[24]، وهي بلدة عامرة كبيرة في حضرموت تعج بالعلماء وبها تجارة وافية كما وصفها الحموي (ت626 هـ)[25]، وأشار إليها ابن خلدون في مقارنة المدينة بالمدينة من حيث أحوالها التمدنية وسعة رزقها، بأنها أظهر مما هي عليه مدن شبام وسيئون[26]، وأنها من أعظم مدن حضرموت[27]، والمقصود مستوى تمدن تريم مقارنة بمثيلاتها من المدن الإسلامية المجاورة ، كما يدل المعنى على تطور مظاهرها التمدنية قياساً بغيرها، ثم عن مكانتها في النطاق الجغرافي الحضاري لكبريات المدن في القطر الحضرمي[28]، والتي تشكل في مجموعها المجتمعات الأكثر تمدناً بين مدن وقرى بلاد حضرموت، وهذا استحقاق حضاري متميز للمدن التاريخية في وادي حضرموت، كان من أبرز تجلياته نهوضها العمراني المتفرد المبكر، فإن في العمران كما يقول الخليفة العباسي المعتصم: (... أموراً محمودة، فأولها عمران الأرض..... وعليها يزكو الخراج وتكثر الأموال..... ويكثر الكسب ويتسع المعاش)[29]، وإن في تناقص العمران الفقر والخصاصة[30].

وفي مايرد عن خبر صلة المدينة بالعمران ، فأن المدينة إذا ما بلغ تمدنها مبلغاً متفرداً فإن هذا سبب في توسع مبانيها وفي تطور فنونها العمرانية، وهذا أشبه بالمدن الأسبانية الإسلامية في إطارها العام، التي كان قد اقترن ازدهارها بإقامة المباني الكبيرة التي تطورت عبرها فنون البناء والتعمير[31] ، وكذلك كان حال العمارة التريمية في تواصلها الحميم بالفكر الإسلامي، استمدت منه حركتها الفنية ولمساتها التقنية وتطورها الوظيفي، كما أن احتفاظها بالثوابت الإسلامية ساعد على احتواء المتغيرات داخل تلك الثوابت، وجعلها أكثر اقتداراً

لقبول التقاليد والثقافة المحلية العمرانية والتجانس مع معطياتها البيئية وفي حسن استجابتها لروائع الفن المعماري الوافد. وهذا أضفى لفن العمارة التريمية جمالاً مبتكراً وتنوعاً وظيفياً ودرجة من الرقي التقني وتفوقاً حرفياً لا يضاهى ، أظهر رونقها وألوانها ونقوشها ودلالاتها التعبيرية المجسمة آية من الإبداع الهندسي الآخاذ، وللناظر حق التأمل إذا قصد مقارنة خصائصها الفنية بالعمارة الدينية في الشام ومصر وفارس والهند والأندلس[32]، وقد لا يجد المرء ببلاد المسلمين مدينة بهذا العدد الوافر من العمارة الدينية وما تتصف به من تنوع نوعي متداخل القسمات ومتميز السمات ،كما هو عليه الحال بمدينة تريم عبر تاريخها الحضاري (33) ، فهي بذلك مثل حسن للفن المعماري الإسلامي[34] وإنموذج لأبرز ملامح التمدن في الإسلام .

ونظراً لذلك الصدى الحضاري للمدينة فقد غدت مقصداً للمستشرقيين في العصر الحديث ، ففي عام 1893 زار العالم الجغرافي الأثنوغرافي الألماني هيرش مدينة تريم، وسار إلى مناطق شرق حضرموت وكتب كتاباً شرح فيه النظام الاجتماعي لعدد من القبائل وعن عادات النساء التقليدية[35]، ثم وعلى غرار هذه الدراسة مضت اهتمامات الأركيولوجيين ومهندسي العمارة الأجانب ممن زاروا تريم في القرن الماضي ، نتج عنها الكثير من المعلومات التاريخية القيمة عن تمدن المدينة ، شأنها شأن الدراسات النظرية والميدانية للبعثات العلمية التي اهتمت بدراسة ملامح الثقافة الحضرمية، من بحث للتراث الفلكلوري الحضرمي واللهجات والتقاليد والعادات ودور المساجد والأدب الشعبي، ومن بين خير من يمثلها دراسات المستشرق الإنجليزي سارجنتSerjent الذي مكث في مدينة تريم سبعة أشهر في أثناء زيارته لحضرموت في عام 1947– 1948، أنجز بعدها كتاباته عن السلالية اللغوية وأنماط العلاقات الحياتية الخاصة والعامة للحضر والبدو،كما عرف السجلات التاريخية المحلية، واهتم بعمارة المقابر في تريم، وبحث في المشاكل السلالية الثقافية الواسعة للمدينة وفي أنظمة الري[36]. وهكذا أسهم سارجنت بمطالعاته وأبحاثه ودراساته المقارنة للمعلومات المدونة عن حضرموت لأكثر من مائة وخمسين عاماً ، في تحقيق وتوثيق تاريخ المجتمع الحضرمي حظيت منه مدينة تريم بالذكر المفيد.

توالت الدراسات في تاريخ تريم التمدني، ففي تشرين الأول عام 1960 زار الأثنوغرافي النمساوي دوستالDostal بلاد حضرموت وبحث في الجانب الأثنوغرافي لمدينة تريم وأثر العناصر الثقافية وعناصر النظام الاجتماعي في المجتمع، واهتم عام 1964 وعام 1966بالتكنولوجيا التقليدية بين الحضر من أهل تريم، وخلص بأن للمدينة تراكماً معرفياً في فن العمارة والنجارة والحدادة وفي إنتاج الفخار تمثلها شريحة على قدر كبير من الخبرة وصفها المترجم بالخبرة التكنولوجية[37]، والحق هذه المعلومات بالنصوص المنشورة بالكراريس المنفردة في سلسلة: Encyclopedia Cinmatographica ، ثم وحد في عام 1972 معلومات هذه الكراريس في كتاب (الصناع والتكنولوجيا الصناعية اليدوية بتريم) ذكر فيه المصطلحات المهنية وأدوات الحرف وما شابه[38].

جديرة مجمل تلك الدراسات بالاهتمام – تحقيقاً وتوثيقاً –علاوة على دراسات المراكز اليمنية البحثية بمعية البعثات العلمية الميدانية الأجنبية منذ عام 1983، والتي كان لأبحاثها الأثنوغرافية والاجتماعية والعمرانية عن مدن حضرموت النتاج الجيد ، أسهم لاحقاً في جمع وتوثيق مجموعة الدراسات والأبحاث الأثرية والثقافية والاجتماعية النظرية والتطبيقية، وهيأت للمختصين من الكتاب والباحثين في تاريخ حضرموت الوطني، كماً نوعياً من المعارف، ساعد كثيراً في تنفيذ عدد من المراجع التاريخية عن حضارة مدن حضرموت عبر العصور[39].

بريق تمدن تريم:

تريم.. مهما بلغ في أعقابها الأثر، فإن ما تم توثيقه عن تاريخها الحضاري، إنما كان بمقدار أضاء جانباً من تاريخها التمدني، وما ترتب عن ذلك التمدن من نما ورفعة شمل مناحي حياتها الدينية والثقافية والاجتماعية والعمرانية، والذي صار لنتائجها عمق الأثر وبُعد الدلالة، وتحقق بفعلها التواصل الفاعل لأثر العلم والثقافة والتربية الإسلامية جيلاً بعد جيل، جعلها ذلك في مصاف مجتمعات الإسلام الأكثر إشراقاً، بل تضاهي في تمدنها وأثرها الإرشادي زبيد والحجاز وبغداد والفسطاط ودمشق والكوفة والقيروان وأصفهان ونيسابور وشيراز وسمرقند وخراسان. وهذه من المدن الإسلامية التي شمل بعضها دراسات حقل التمدن، ومنها الدراسات الأوروبية التي اعتمدت نظرية المؤسساتInstitutional theoryفي قياس مستوى التمدن القائمة على وجود المراكز الاقتصادية بالمدينة، مثل دار المسكوكات والمحتسب والأسواق وأماكن الصرف وأماكن الحرف ودور الأوقاف، وتتبع تأثيرها في تطور تمدن المدينة خلال حقب من تاريخها الحضاري ، وأن لا صلة لها وفق هذه النظرية بالطبوغرافيا في تحديد وحدات المدينة التمدنية[40].

لا نجد إحاطة تامة حينما نرصد – حصراً – مظاهر التمدن بالمدينة الإسلامية في ما تمثله من مؤسسات إنتاجية أو إيراديه، ومن ثم النظر إلى التمدن بمعطياته ونتائجه في جزء من مكوناته الأساسية، وإن كان جزءاً مهماً من مقومات التمدن بالمدينة الإسلامية. فالتمدن في التفاعل المتنامي لمظاهر المجتمع التمدنية – دينية اجتماعية اقتصادية ثقافية وعمرانية –وفي مدى الصلة بينها وبين ثقافات المجتمعات الأخرى، وفي مستوى ازدهار صلتها بالمعارف والعلوم، واحتفاظها بمستوى من الاستجابة الفاعلة للتغيير والتجديد. وذلك بالقدر الذي يصون التوازن الصحيح بين تراثها المحلي وكيفية تأهيله من ناحية، وبين إملاءات التطور وكيفية تطويعها من ناحية أخرى. وبذلك يكون التطور الناجز للمظاهر المجتمعية المعيشة بالمدينة الإسلامية من أكثر العوامل جاذبية للتمدن الإيجابي المستمر، وهذا ما يبدو جلياً في صلة هذه الأسباب بتمدن المدينة تريم في العصر الإسلامي الوسيط، كما تدل شواهد المدينة في العصر الحديث على أثر المحفزات التمدنية الإسلامية الحديثة، والتي ما زال علماؤها من أساتذة علوم الفقه والشمائل والفضائل واللغة خير من يمثلها في العالم الإسلامي.

ولننظر إلى المدينة تريم وعلاقتها بالمعرفة، نجدها من بين أكثر المدن الإسلامية ولعاً بالمعرفة – قبولاً وتحديثاً – منذ عهدها الأول بالإسلام وأدبياته العطرة وتعاليمه السمحة، فقد أقبل الناس عليها طلباً للعلم النافع، كونها السباقة في تأسيس مراكز للتعليم والتي تمثلها المساجد، أو ما عرف عنها بالمؤسسة المدرسة[41].وتريم من محافد اليمن لحفود الناس من حولها واستقرارهم حول عمرانها من القصور والحصون[42]، ولأنها مقر ومستقر للصحابة والعلماء[43] ، فقد شهدت في عصر واحد ثلاثمائة فقيه مُفْت، وبها سبعمائة قبيلة لا تخلو قبيلة عن أحد من الصالحين[44]، ولا يحصى من أنجبته من رجالات الفضل وكبار دعاة الدين والعلم[45] . وبذلك تعد مرتعاً خصباً لعلوم الدنيا والدين، مما أسهم في رفع مرتبة المدينة بين مدن حضرموت والبلاد العربية والإسلامية، خاصة في تعاظم التأثير المنتظم للقائمين على صلاح المدينة وتهذيب مسارها التمدني، وفي تعزيز صلة تمدن المدينة بالإسلام وحضارته.

وكونها على ذلك النحو فالمدينة معنية بالدراسات التي ترى أهمية ربط تمدن المدينة العربية بالإسلام، فالمدينة من وجهة نظر هذه الدراسات ضرورة لتطبيق الشعائر، حيث تتاح فيها إقامة الصلاة الجامعة وعمارة المساجد والمدارس الدينية والمقابر والمنازل والأسواق، وبها التقسيم الطبوغرافي للسكان والحرف والاهتمام بالمياه الصالحة للناس والزرع[46]. ويتمحور اهتمامها بالمتشابهات الطبوغرافية للمدينة الإسلامية، وترى فيها السمة الغالبة لتمدن المدينة في المجتمع الإسلامي، أو ما عرف بـ (وحدة التمدن الإسلامي) Pan- Islamic urban order[47]، وهي أقرب إلى دراسات التمدن التي ترى إضافة وحدات طبوغرافية أخرى للمدينة إلى جانب تقسيمها الديمغرافي ونشاطها الإجتماعي[48].

صلة تريم بالوحدات الطبوغرافية التمدنية قديمة قدم تاريخها الحضاري، فقد ذكرتها النقوش السبئية بالمدينة (ترم)[49]، وأنها من المجتمعات التي عرفت التقسيم الطبوغرافي في حوالي القرنين الثالث والرابع قبل الميلاد، مثلها مثل مجتمع حريضه ومجتمع شبام من بلاد حضرموت، نمت بها حضارة مزارعين حضر، وتمثل العائلة أو القبيلة الواحدة بمجتمعاتها الوحدة الاجتماعية الرئيسة التي تتألف من حولها مجموعة القبائل (شُعباً)، تجتمع بحسب حاجتها إلى أعمال الري المشتركة في الأراضي المجاورة[50]. فالمدينة تريم من المدن التي عرف أهلها المراتب الاجتماعية والأنشطة الزراعية والوحدات العمرانية ذات الوظيفة العسكرية وذلك في حوالي القرن الثالث الميلادي[51] ، كما أن بالمدينة كثيراً من المباني الدفاعية كالحصون والقلاع مطمورة بالأرض ، يعود تاريخها إلى حوالي القرن الأول الميلادي[52]، وهي ذات الزمان الذي وصف علماء الآثار فيه مدينة تريم بالبلاد المبنية والمروية[53]، وإنها من المدن التي ظلت مزدهرة وعامرة ومأهولة رغم الحروب السبئية الحميرية القتبانيه في القرن الثاني إلى القرن الرابع الميلادي[54].

وبظهور الإسلام طوى التاريخ صفحة من العهود الغابرة للتمدن في ملامحه القديمة بالمدينة، وحل

نمط جديد من مظاهر التمدن قوامه الإسلام وغايته حفظ تعاليمه وقيمه وعمرانه ونشره والذود عنه،فالتصق بنيان المدينة التمدني –الطبوغرافي الأثنوغرافي المعماري – بكل ألوان الطيف الإسلامي، فازداد بها المجتمع تمدناً منيراً وتألقاً، فقد جاء في وصفها عن رجال الحديث قولهم: (بأن بها من أرباب العلوم والآداب وأصحاب الفهوم والألباب ما شغلهم عن الأهل والوطن)[55] ، ونالت دعوة الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه لها بالخير بعد خبر مبايعة أهل تريم لما تضمنه كتابه إلى لُبيد بن زياد البياضي عامله على حضرموت في زمن الردة[56]. كما احتضنت عبر حقب تاريخها الإسلامي الوافد من الفكر والثقافة والعلوم والآداب والمذاهب والمدارس الفقهية، انعكس هذا في قالب حضاري جمع بين دفتيه كل أوجه التمدن العربي الإسلامي، مما مهد للمدينة تبوء أثيرها الريادي التنويري العالمي، حتى صار رنين مبتغاها الديني وصدى تفوقها العمراني وتميز نتاجها الثقافي لحناً حضرمياً خفاقاً، غرد به روادها الكرام الأوائل في الآفاق ومن بعدهم السلف الصالح، الذين نقلوا أريج مجدها التليد إلى أرجاء المعمورة.

بالإسلام اختمرت جملة الخصائص التمدنية المكتسبة التي هيأت المكانة الاعتبارية الدينية المتعاظمة للمدينة تريم، وأظهر هذا عظمة الأثر الدال على تمدنها المتنامي واعتمادها على الذات في التعامل مع دواعي التمدن. وهي بذلك أشبه بما عرف لدى بعض علماء الآثار في العشرينيات والثلاثينيات من القرن العشرين بالمدن الذاتية[57]، أي التي نمت وتطورت نتيجة لعوامل محلية – جغرافية وتجارية –وليس بإيعاز من الحاكم النافذ المنوط بالسلطة وشؤونها.لأن في الإسلام من ارتبط من المدن في تطور تمدنها بوجود الحاكم[58]، وهذه في الغالب ارتبطت في تأسيسها بالحاكم الأمير، وتصنف بالمدينة المنشأة، أو المدينة الأميرية[59]، أو بالمدينة المؤسسة المشيدة من قبل الدولة[60]. لهذا يرد في ذكر خواص تريم وطيب عيشها خصوصاً لأهلها بأن لا تعلّق لهم بالدول[61]، لربما فقهاء المدينة وعلماؤها من أولئك الذين أشار إليهم ابن خلدون بأنهم أبعد الناس عن السياسة ومذاهبها[62]، وربما لانشغالهم بما يعتمل بمجتمعهم من عبادة وعلم وثقافة وعمران وتجارة وزراعة، فالعلم في أروقة العلم بالمدينة للعامة لا حصراً للسلطان، وهذه من السمات الغالبة للمدينة الإسلامية كما هي من سمات حضارة الإسلام[63]. كما إن التريميين أكثر شغفاً للإتقان في ما يصنعون، فقد جعلوا من مدينتهم مخزناً للتراث المحفوظ المتقن، حتى باتت تتصدر المدن الأثرية الإسلامية على خارطة المدن المتمدنة الإسلامية، مما هيأ انتقالها عبر بوابة الألفية الثالثة إلى مرتبة المدن الثقافية العالمية المعاصرة.

كان أثر الإسلام التمدني على تمدن مجتمعاته معيناً لا ينضب، لهذا ظل تمدن المدن في الإسلام متصلاً بالعمل التمدني الإسلامي المستمر على كافة الصعد الحياتية بالمدينة العفوية (الذاتية) وبالمدينة المنشأة على حد سواء[64]، والمدينتان ثمرة تداخل متطلبات الحياة المتحضرة من زراعة وتجارة وصناعة وعمران وثقافة وعلوم وديانة، وما كان لها أن تزدهر من غير الإسلام[65].وقد ازداد الأمر تنوعاً

وتأقلماً بعد المد العربي الإسلامي أبّان الفتوحات الإسلامية شرقاً وغرباً، شجع هذا كثيراً على النمو ألتمدني، بدءاً بتأسيس مدن جديدة في الأمصار، ووصولاً إلى شكل من التواصل الحضاري بين المجتمعات الإسلامية، كان من مظاهره الاندماج الملحوظ – اجتماعياً واقتصادياً وثقافياً – دون الإخلال بالهوية والقيم والثقافة العربية الإسلامية كما هو الحال لدى الحضارمة بالمهاجر، ونخص بالذكر منهم التريميين في بقاع بلاد الإسلام شرقاً، ممن كان لهم باع في نشر الإسلام وتعليمه، واسهامهم في نهوض أمم تلك المجتمعات وتمدنهم. وقد ظل شعاع الإصلاح وبريق التمدن ساطعاً مضيئاً لمراحل متعاقبة من تاريخ تريم في الإسلام، استمدت منه حضرموت وبلاد العرب وبلاد العجم المسلمة العلم النافع وطرق التفكير وسبل الإجتهاد ومناهج إصلاح ذات البين بين المذاهب والمدارس الفقهية، والاستماتة والمصابرة في مواكبة مقتضيات الحداثة.

لم يعد مقبولاً ما يتحدث به بعض الكتاب عن أثر الفتوح الإسلامية سلباً في تمدن المدن الإسلامية، خاصة عن خصائصها التمدنية المتشابهة ووحدة تركيبها التمدني ومؤسساتها التمدنية، فلم تكن كما يزعم أولئك الكتاب ضعيفة التماسك وخالية من المؤسسات[66]، أو إن الإسلام بإحلالها لطوبغرافيات الموحدة بالمدينة قد أفسد التمدن[67]،وإنه لم يكن مشجعاً أو دافعاً إيجابياً لحركة التمدن[68]. كيف هذا والإسلام في جميع الأمصار أكثر إلحاحاً ببناء المدن العواصم وملحقاتها من المدن في إطار الولاية أو الإمارة بالأقاليم، وتوافر مرافقها الإدارية والدينية والإنتاجية والخدماتية، وفي تطور وظائفها والاهتمام بمعالمها المدنية، وفي استقرارها وحفظ سبل التواصل بها، وحمايتها بالمدد والقادة والجند والخطط المدنية والعسكرية. ولننظر إلى نفائس المؤلفات العربية والإسلامية لكل من الطبري (ت 310 هـ) "تاريخ الأمم والملوك"، وابن الأثير (ت 630 هـ) "الكامل في التاريخ" وبن عبد الحكم (ت 275 هـ)"فتوح مصر وأخبارها"، والمقريزي (ت 845 هـ) "المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار" المعروف باسم "الخطط"، والازرقي (ت 223 هـ) "أخبار مكة" وابن القلانس (ت 555 هـ) "ذيل تاريخ دمشق" والماوردي (ت 450 هـ) "الأحكام السلطانية والولايات الدينية"، وابن خلدون (ت 808 هـ) "العبر وديوان المبتدأ والخبر". وسوف نجد أن مدناً إسلامية مرموقة الذكر كالبصرة، بغداد، دمشق، حلب، الكوفة، اللاذقية، مراكش، الرباط،، فاس، القيروان، الفسطاط، مكة ، صنعاء ،وتريم وما شابهها من المدن الإسلامية، مكتملة العناصر الحياتية التمدنية، زاخرة بالعلم والعلماء والعمران والإدارة، تُجسد في حاضر اليوم هدى الماضي الإسلامي التمدني، وتمثل بمنظار الغد حضارة الارتقاء الإسلامي للقابليات القادمة من أرجاء العالم المتحضر.

الخلاصة:

الغاية المتوخاة من الدراسة في صلة تريم بالتمدن في الإسلام، إضاءة جانب من تاريخ المدينة الحضاري، نسلط من خلالها ومضات من نور على الأسباب والمقدمات التي لا زمت محفزات تطورها التمدني المجتمعي العام طيلة الأمد المعلوم من صلة تاريخها بالإسلام ، نوجز بريقه الساطع في الاستنتاجات الآتية :

❖ عُرف عن تريم مجتمعها التمدني المبكر منذ ما قبل ميلاد المسيح عليه السلام، تمثل هذا في مظاهرها التمدنية – الطبوغرافية والديمغرافية – وفي فنون العمارة من الأسوار والحصون والقلاع والأسواق، وتعد بذلك أنموذجاً للتمدن السائد في بلاد حضرموت، رغم شحة المعلومات الدالة على هذا التمدن، حيث إن ما يرد من ذكر للمدينة إنما في سياق التاريخ الحضاري القديم لبلاد حضرموت قبل ظهور الإسلام ، لهذا نعول على الدراسات الأركيولوجية الجادة في تزويد الباحثين والمؤرخين بالمعلومات الأثرية عن تاريخ تريم التمدني قبل ظهورالإسلام.

❖ إن في نجاح التريميين تطويع مقتضيات التمدن لصالح تطور مجتمعهم، واهتمامهم بتطوير تقنية الوسائل والأدوات المستخدمة في ذلك، الأثر الثقافي بمفهومة الحضاري العام على تمدن مدينتهم قبل ظهور الإسلام ، ثم صار الإسلام في بداية القرن السابع الميلادي دافعاً لأولئك المهرة من الفئات المتحضرة بالمدينة لتقديم أعمال على درجة من الدقة والإتقان، مما أضاف سمات جديدة للمدينة في ملامحها التمدنية الإسلامية المتدفقة.

❖ الفاصل الحضاري في تاريخ المدينة (تريم) تمثل في الكيفية المتصاعدة للحياة المادية والروحية التي شهدتها المدينة بفضل الإسلام وما ترتب عنه إيجاباً على تحضر المدينة وإنتقالها إلى مصاف المجتمعات التمدنية الإسلامية. وكذلك تمثل في ملامحها التمدنية قبل الإسلام ببلاد حضرموت (المملكة) منذ النصف الثاني من الألف الأول قبل الميلاد، حينما تبين أثر تمدن مملكة حضرموت على مجرى التطور التمدني العام للحضارة اليمنية.

❖ النسق الإداري وحسن الإشراف على الوحدات التمدنية المجتمعية المعيشة بالمدينة (تريم) من قبل إدارة الولاية عُمال المدينة المنورة منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم و الصحابة الأوائل ثم التابعين من الحكام، كان من أكثر العوامل جاذبية للتمدن الإيجابي المستمر،وهذا هيأ التفاعل المتنامي لمظاهر التمدن الإسلامي مجتمعة، والتواصل الحضاري بالثقافات الأخرى، وهيأ إزدهار علاقات المدينة المعرفية بمصادر المعرفة والعلوم والفنون.

❖ تجلى واضحاً تأثير ديناميكية التمدن وجاذبيته المطردة للتحضر على تنوع ملامح مدنية المدينة تريم ، في حين تجلى شكل ملامح تمدن المدينة في استيعابها الملائم لمعطيات التمدن الإسلامي وغاياته في التجديد المجتمعي الرشيد ، وهذا أكسب المدينة إمكانيات احتواء ضغوط التطور التمدني الوافد من خارج المدنيات الإسلامية ، ظهر نموذج هذا في احتفاظ المدينة بالفنون الإسلامية في العمارة بعيداً عن نمط النصرانية في التمدن العمراني .

❖ تريم من وجهة نظر دراسات حقل التمدن المشار إليها في هذه الدراسة، من المدن الإسلامية السباقة إلى تأسيس الوحدات التمدنية المتعددة، وتمثل المؤسسة المدرسة بمحيط المسجد من ملامح التمدن الثقافي المبكرة، ومجالاً ذات صلة بمفاصل التمدن العام للمدينة طيلة مراحل تاريخها التمدني الإسلامي، وهذا يدحض ما يراه بعض المستشرقيين من غياب للنظام المؤسسي بالمدينة العربية الإسلامية خلال عهودها المبكرة بالتمدن.

❖ تمثل العمارة التريمية أبرز ملامح التمدن الإسلامي بالمدينة قياساً بالمظاهر التمدنية الأخرى، وتضاهي بهذا مثيلاتها من مدن التمدن الإسلامي

في المشرق والمغرب، وتعد مثلاً حسناً للتمدن في أبهى صورة في حاضر اليوم إذا أحسن القائمون الحفاظ على كينونته التاريخية والحضارية وذلك بإعادة تأهيل بنيانه بحرفية متناهية وبإشراف إقليمي ودولي متخصص. وفي هذا الصدد ينبغي تنفيذ توصيات مؤتمرات العمارة اليمنية (مؤتمر العمارة الطينية عام 2000م – سيئون في رحاب جامعة حضرموت – ومؤتمرا لعمارة اليمنية وتحديات العصر عام 2008م– عدن في رحاب جامعة عدن) ، وبالإمكان بحثهافي ورش عمل متخصصة للوصول إلى استنتاجات ومقترحات ذات قيمة وبرؤية جديدة تطرح مجدداً للبحث والدراسة.

❖ بات ملحاً الإعداد لإنجاز أطلس تريم التاريخي الأثنوغرافي على أساس المعطيات الميدانية والمصنفة حسب المكان والزمان، وتكمن أهميته المعرفية في إحاطته بالتقسيم الطبوغرافي الأثنوغرافي للمدينة عبر العصور وعلاقته بالمفاهيم والتقاليد والأعراف والمعاملات. وللأطلس فائدة معرفية قصوى للدراسات النقدية المقارنة إذا ما تناول الأحوال الاثنوغرافيه للمدينة قبل الإسلام وبعد ظهور الإسلام، لمعرفة درجة احتفاظ تريم بمستواها التمدني عبر تاريخها الحضاري مقارنة بغيرها من المدن الإسلامية جنوب بلاد العرب .

❖ التمعن في حاضر المدينة تريم من وجهة نظر دراسات التمدن الإسلامي لا ينبغي أن يقتصر على الأوصاف الظاهرية للتمدن أو على وحداتها التمدنية الطبوغرافية الماثلة للعيان ، مجردة عن محيطها التاريخي وسجلها الحضاري التليد ومغزاها الوظيفي ودلالاتها المعرفية، لأن ذلك من باب الترويج الاستهلاكي للأثر شكلاً لا جوهراً، فالتمعن يكمن في النظر إلى جوهر ملامح التمدن في إطار تطوره الحضاري العام، أي بحث العظة والعبرة والحكمة والمهارة والأخلاق والفضائل والمقاصد من ذلك، وصلتها بالغايات الإسلامية المحمودة، وأن لا يكون إهتمامنا بمظاهر التمدن الإسلامي في خصوصياته الشكلية المادية وفي تراثه المرتبط بالزمان والمكان فقط، وهذا لا يسد حاجة الدراسة ومقصدها من بحث موضوع تمدن تريم في الإسلام،فالمراد فهمه إنما الوقوف على ملامح التمدن وفق فقه الإسلام ، أي أن تقترن أشكال التمدن بما يدل إليه من جوهر متصل بالإسلام – العقيدة والحضارة – ، والعمران بمفهومه العام وبمجالاته المختلفة وهو من مقدمات التمدن وأسبابه في الإسلام ، يجسد أبرز خصائص التمدن من جمال وإتقان في الصنعة ومن وسع في العمارة البنائية ومن سعة في صلاح نظم مؤسسات المدينة الإدارية والإنتاجية والخدماتية وتطوير وحداتها التمدنية المتنوعة .

لهذا ترعى كثير من المراكز البحثية الإسلامية ومراكز الدراسات التاريخية في حضارة العرب والمسلمين والمهتمة بجوهر التمدن في الإسلام، وباهتمام كبير دراسات فقه العمران ، والعمران يشمل كل مظاهر التمدن بالمدينة العربية الإسلامية، وتريم أولى بهذه الدراسات إذا ما توافر لها المدد الكافي والتمهيد الفاعل الجاد، والإشراف العلمي المحلي والإقليمي المشترك، فالغاية كما نرجوها الإعداد لموسوعة شاملة عن: تاريخ تمدن تريم عبر العصور.

الهوامش:

(1) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت808هـ): مقدمة ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر للطباعة والنشر، ط. الأولى، بيروت، ص. 381

(2) من الكتب والمقالات العلمية المتخصصة في حقل التمدن:

-Sjoberg, Gideon, "Theroy and Research in Urban Sociology In the Study of Urbanization, ed. By Philip M. Hauser and Leo F. Schnore (2 nd ed. U.S.A. 1966. pp. 157- 189

-Al ford, Robert R., "Explanatory variables in the Comparation study of Urban Politics and Administration" in Comparative Urban Research. The administration and politics of cities, ed. By. Robert T. Daland, U.S.A. 1969, P. 321-323.

-Toynbee, Arnold: Cities on themove,oxford 1970

-Grunebaum, Von; The moslim town and the Hellinstic, London, 1961.

لكرونباوم مقالتان ظلتا مثار نقاش: المدينة الإسلامية (باللغة الألمانية). وتركيب المدينة الإسلامية (باللغة الإنجليزية).

انظر: النصوص المترجمة للدكتور عبد الجبار ناجي في مقالته: المدينة الإسلامية في الدراسات الأجنبية، مجلة المورد، العدد الرابع، مجلد 9، بغداد 1980، ص. 136-139. من ملاحظات الباحثين والمتخصصين في حقل التمدن عن بعض الدراسات الإنجليزية في الثلاثينيات وحتى الستينيات من القرن العشرين والتي تناولت تمدن المدينة الإسلامية، بأنها لا تمت بصلة إلى تاريخ المدينة العربية الإسلامية من وجهة نظر التمدن لاختلاطها بدراسات جغرافية المدن. بينما تعد الدراسات الجغرافية لمتخصصين إنجليز وفرنسيين إلى حد كبير منصفة وذات قيمة في شرحها لسمات المدينة العربية الإسلامية. في حين أن الدراسات الأمريكية في حقل التمدن عن المدينة الإسلامية جديرة بالمطالعة، ومنها دراسات Costelloعن المدينة الإسلامية في العصر الوسيط. وCotein عن مدينة القاهرة المدينة الإسلامية حسبما تصوره وثائق الجنيزه. وLabidus عن المدن الإسلامية في العصور الوسطى المتأخرة.

للاستزادة انظر:

Costello, V.F., Urbanization in the Middle East, Cambridge 1977. Coitein, S.D., "Cairo: An Islamic city in the light of the GenizaDocoments" in the Middle Eastern cities ed. By. I. M. lapidus, Los Angeles 1969.

Labidus, I. M., Muslim cities in the later Middle Ages, Combridge, 1967.

(3) بريتون، جان فرانسو وآخرين: وادي حضرموت (تنقيبات 1978- 1979)، المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف، عدن 1980، ص16

(4) بريتون ،المرجع السابق، ص18

(5) سارجنت، آر.بي: المدينة الأسلامية- الترتيب الطبقي الاجتماعي في شبة جزيرة العرب- ، ترجمة: إبراهيم السامرائي، دار الفكر، عمان، 1985، ص.29، انظر: مجلة الدراسات الشرقية والأفريقية، المجلد 32، لندن 1959، ص. 574- 575عرف أهل اليمن عدد من الأساقفة القديسين المبشرين للمسيحية قبل الإسلام من أمثال فيمون ، جريجنت، وثيومنلوس. انظر: لوندين ، أ.ج.: ثقافة العربية الجنوبية في القرن السادس، ترجمة: إحسان عبد ا لجليل، الثقافة الجديدة، العدد 2، عدن، 1987، ص 209، انظر: مدونة النقوش السامية (RES) النقش الموسوم 508. والقش البرت جام1028، والنقش جونزاك ريكمانز 507عن المبشرين المسيحيين جنوب بلاد العرب.

(6) جواد علي، أصول الحكم عند العرب الجنوبيين، مجلة المجمع العلمي العراقي، مجلد31، الجزء الثاني، بغداد 1980، ص. 62. من آيات الجمال المعماري عند العرب فن الزخرف وخاصة زخارف الرخام ومنه أن تكسى الحوائط بالزخارف المطعمة بالصدف أو أن يتم زخرفة الحوائط بالزجاج الملون الجميل الصنع وهذا ماعرف بفن الموازييك والذي شمل فيما بعد تزويق الشبابيك بالزجاج الملون .للإستزادة انظر : عبدالجواد ، توفيق أحمد : العمارة الإسلامية فكر وحضارة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ،لا.ت. ، ص 442- 443

(7) مجموعة خبراء المنظمة الدولية للثقافة والتربية والعلوم : مواقع أثرية ، المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف، وزارة الثقافة ، عدن ، يونيو1980م ،ص 104 زار مدينة تريم في عام 1979 ثلاثة من خبراء اليونسكو لمعاينة أسوار وبوابات ومساجد المدينة، وتوصلت البعثة إلى عدد من التوصيات والتقديرات المالية لإعادة ترميم هذه المواقع الأثرية، ومن بينها مسجد سرجيس، وكذلك مسجد باعلوي الذي أُعيد بناؤه في القرن التاسع الهجري.وأوصت البعثه إلى التعجيل بترميم هذه المساجد حفاظاً على معالمها المعمارية، وشمل تقرير البعثة صور فوتوغرافيه لسور تريم (سور المدينة) وبروجها وبواباتها. انظر: ص 105- 107

(8) مجموعة خبراء .....، المرجع السابق ، ص. 104

(9) الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسني (ت 356هـ): الأغاني، جزء 21، مطبعة التقدم، مصر، 1323هـ ص. 10

(10) لوندين، أ.ج،: ثقافة العربية الجنوبية في القرن السادس، ترجمة: إحسان عبد الجليل، الثقافة الجديدة، العدد 2، عدن، 1987، ص. 4-16. تناول بالشرح النشاط الديني المسيحي اليهودي جنوب

بلاد العرب خلال القرنين الخامس والسادس الميلاديين.عن انتشار النصرانية بالعربية الجنوبية انظر: ابن كثير (ت 774هـ):البداية والنهاية، جزء 2، ط. الأولى، مطبعة السعادة، مصر 1932، ص 144-145. الطبري (ت 310هـ): جامع البيان، ط. الأولى، المطبعة الأميرية، بولاق، مصر 1329هـ، ص 85 اغناطيوس يعقوب الثالث، الشهداء الحميريون العرب في الوثائق السريانية، مطبعة باب توما، دمشق 1966، ص. 23

(11) ابن الأعثم، أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفي (ت 314هـ): الفتوح، جزء1، ط. الأولى، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد الدكن، الهند، 1968، ص. 66، 71، 84 – الهمداني، الحسن بن أحمد (ت 350هـ):صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد 1989، ص. 169

(12) Boudling, Kenneth E.; "The death of the city:AfirghtenedLook at Past Civilization" in the Historian and the City. N.d., P. 133.

(13) Coulanges,Fustal: The AncientCity: Astudy on the Religion -Laws, and Institutions of Greece and Rome, New York, P. 127, 131. 134.

(14) المرجع السابق ، ص. 134. انظر: النص بالإنجليزية:
"As a sanctuary for this common worship, and thus the foundation of a cityترجمة د. عبد الجبار ناجي: المرجع السابق ،ص.139-139. was always a religions act".

(15) Toynbee, Arnold: Cities on the move, Oxford, 1970, P. 153 Sjoberg, Cideon: "Theory and Research in the Urban Sociology -

(16) study of Urbanization, ed, by Philip M. Hauser and Leo F. Schnore (2 nd ed. U.S.A. 1966 P. 76

من الدراسات في ذكرمايقابل ذلك عند ابن خلدون انظر : محسن مهدي :

Ibnkhalduns Philosophy of History ,London ,1957,p.209

(17) الحموي ، شهاب الدين ابو عبدالله ياقوت (تـ 626 هـ) : معجم البلدان ،جزء 4 ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لا .ت. ، ص . 421 . جزء 5 ، ص . 389 ، 396

(18) اهتم ألمستشرقون من فرنسا وألمانيا وبلجيكا وهولندا بالكتابة عن المدينة العربية الإسلامية، حقق بعضهم المخطوطات الإسلامية، والبعض الآخر اهتم بالدراسات الفلسفية والتصوفية في الإسلام، وعدد آخر اهتم بالدراسات التاريخية والحضارية،منهم من أنصف العرب والإسلام ومنهم تحامل وأساء للإسلام وحضارته. انظر :مصطفى السباعي، الاستشراق والمستشرقون "ما لهم وما عليهم"، ط. الثانية، المكتب الإسلامي،
بيروت، 1979، ص 19-66. ومن المستشرقيين على سبيل المثال: لامانس، بلاشير، سوفاجيه، بروفنسال، ماسينون، ديمومبين، دوزي، فلوجل، دي ماسيه، كانزمير، نولدكه، كرونباوم، شاخت، تشز، بروكلمان، مونتغمري، رينان، وارنولد.

(19) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: مناهج المستشرقيين في الدراسات العربية الإسلامية،جزء 2، مكتب التربية العربي لدول الخليج، تونس 1985، ص 343

(20) ناجي ، عبدالجبار : المدينة العربية الإسلامية في الدراسات الاجنبية "دراسة نقدية مقارنة"، المورد، العدد الرابع، مجلد 9، بغداد 1980، ص. 148. ترجم كثير من النصوص من الإنجليزية إلى العربية، وتعد دراساته النقدية المقارنة عن المدينة العربية الإسلامية إضافة قيمة، كشف من خلالها التناقضات في المنهج والآراء والملاحظات لدى عدد من المستشرقيين ممن كتب عن المدينة والتمدن في الإسلام.

(21) انظر إلى الكتابات العربية عن الدراسات الاستشراقية في تاريخ المدن والتمدن في الإسلام، فقد أسهمت في تشخيص دوافع المستشرقيين من دراسة الحضارة العربية الإسلامية،ومن بين هذه الكتابات على سبيل المثال وليس الحصر :د.عبدالجبار ناجي : موقف الإستشراق الأمريكي من دراسة المدينة العربية الإسلامية . د. محمود زايد : المستشرقون البريطانيون وموقفهم من التاريخ العربي . د. عرفان عبدالحميد : المستشرقون والإسلام . د. عائشة عبدالرحمن : التراث العربي بين ماضي وحاضر . مالك بن نبي : إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث .وكتاب صدر عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بعنوان : مناهج المستشرقيين في الدراسات العربية الإسلامية .

(22) الهمداني، المرجع السابق ، ص.293 – السقاف، عبد الرحمن بن عبيد الله: معجم بلدان حضرموت المسمى إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت، تحقيق: إبراهيم أحمد المقحفي، ط. الأولى، مكتبة الإرشاد، صنعاء، 2002م، ص. 500.

(23) السقاف، المرجع السقاف ، ص. 490. الصبان، عبد القادر محمد:تعريفات تاريخية عن وادي حضرموت، المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف، المكلا، 1979، ص. 14

(24) بيستون، الفريدوآخرون: المعجم السبئي، دار نشرياتبيترز لوفان الجديدة، مكتبة لبنان، بيروت 1982، ص. 56

(25) الأكوع ، إسماعيل بن علي: البلدان اليمانية عند ياقوت الحموي، ط. الثانية، مؤسسة الرسالة ، بيروت، 1988، ص. 60

(26) البكري ، صلاح عبدالقادر:تاريخ حضرموت السياسي، جزء 2، ط. الأولى، مطبعة مصطفى الحلبي، مصر 1936، ص.158

(27) الحسين بن جندان، سالم بن أحمد بن الحسين بن صالح العلوي:مختصر كتاب الدرر والياقوت في معرفة بيوتات عرب

المهجر وحضرموت، أختصره د. عمر بن محمد عمر باحاذق، ط. الأولى، شركة كنوز المعرفة، المدينة المنورة، 2001، ص.8

(28) البكري ، المرجع السابق ، ص. 158

(29) المسعودي، أبي الحسن علي بن الحسين (ت 346هـ):مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مجلد 4، ط. الخامسة، دار الفكر 1973، ص. 47

(30) ابن خلدون، المرجع السابق ، ص. 348

(31) بالباس، ليوبولدو تورّس:المدن الأسبانية الإسلامية، ترجمة: إليودورو دي لابنيا، ط. الأولى، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات، الرياض، 2003، ص. 56

(32) لمزيد من المعرفة عن العمارة في التراث العربي الإسلامي انظر:جمال عليان، الحفاظ على التراث الثقافي، سلسلة عالم المعرفة، العدد 322، المجمع الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2004، ص. 145 وما بعدها.

(33) كثيرة الكتابات عن عمارة تريم الدينية من المساجد والأربطة والقبب والمقابر، انظر على سبيل المثال بن عبيد الله السقاف ذكره في سياق حديثه عن أربعين مسجداً في تريم قبل سنة 669هـ، بأن عمارة المساجد تعددت بعد هذا التاريخ بكثرةٍ ملحوظة . انظر: المرجع السابق، ص 501

(34) الصبان، المرجع السابق ،ص . 15

(35) رديونوف، ميخائيل:البحث الأثنوغرافي في حضرموت: نتائجه وآفاقه، ترجمة ومراجعة: سرجي فرانسوزوف وعبد العزيز بن عقيل، مجلة آفاق، العدد 8، اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين، حضرموت، 1985، ص.33.

(36) سارجنت ، المرجع السابق ، ص 36. انظر نموذج لدراساته كتابه: مختارات من الادب العامي الحضرمي، لندن1950م. وكتابة: حول مصادر التاريخ الحضرمي، ترجمة: د. سعيد النوبان، إصدار جامعة عدن. وعن كتبه ودراساته في تاريخ حضرموت انظر : باصره ، صالح علي : حضرموت ... ببليوغرافيا مختارة ، في كتابه : دراسات في تاريخ حضرموت الحديث والمعاصر، ط. الأولى ، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ، عمّان ،2001 ، ص 42 لقد سبق زيارة سارجنت إلى تريم هارولد إنجرامزوذلك في عام 1934–1935، زار تريم وسيئون ودرس أحوال حضرموت وخاصة شؤون القبائل والتقاليد الاجتماعية السائدة، وهي من الدراسات الأثنوغرافية القيمة.

(37) سارجنت ،المرجع السابق، ص. 39

(38) سارجنت ،المرجع السابق، ص. 40

(39) يمثل ماكتب عن الجانب الأثنوغرافي حضرموت في العصر الحديث في ضمن السياق الحضاري للشواهد والمرويات ، أبرز ما جرى توثيقه عن تحضر المجتمعات الحضرمية بالمدينة والريف ،وهذا أسهم بالطبع في دراسة المعاني والدلالات المعرفية لمنجزات العمران بالمجتمع ، الدالة على ما أنجز من مظاهر للتمدن وعلى ديمومة أثر التحضر في مسار التطور التمدني الحديث بحضرموت .

(40) ناجي، المرجع السابق ، ص. 145–146

(41) الحسن، أحمد وآخرون :التقنية في الحضارة الإسلامية، ترجمة: د. صالح خالد ساري، ط. الأولى، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت، 2001، ص. 37

(42) الهمداني ،الإكليل، الجزء 8، تحقيق: نبيه أمين فارس، ط. 1940، ص. 90

(43) السقاف، المرجع السابق ، ص. 491

(44) المرجع السابق. ، ص. 500

(45) المرجع السابق، ص. 501

(46) انظر من الدراسات دراسة جورج مارسيه عن أثر الإسلام في المدينة وإظهار وحدة المدينة
الإسلامية وتشابه عناصرها التمدنية. وذلك في مقالتين هما:

- تصور المدن في الإسلام، مجلة: in Revue d' Alger 11/1945 الصفحات 33 ومابعدها.
- التمدن الإسلامي،مجلة 'occident musulmanMelangesd Histoire et el Archeologie de L' 1/ 1957الصفحات 219–231. انظر ترجمة د. عبد الجبار ناجي لبعض فقرات المقالتين : المرجع السابق، ص .147

(47) ناجي ، المرجع السابق ، ص. 147

(48) ناجي ، المرجع السابق ، ص. 147

(49) العمري ، حسين عبدالله : تريم ، الموسوعة اليمنية، ط. الأولى، تنفيذ دار الفكر المعاصر،
بيروت 1992، ص 236. اعتمد العمري في معلوماته على ماجاء في النقش (إرياني 32 وفي نقش (جام 547) .

(50) بريتون، المرجع السابق ، ص. 16.موقع حريضة المعروف باسم "مذبم" قديماً في وادى عمد أحد فروع وادى حضرموت وتبعد أميالاً قليلة شمال غرب مدينة حريضة الحديثة ، عُرف عن حريضة معابدها القديمة ومنها معبد للأله القمر "سين" ويعود تاريخه إلى القرن الخامس قبل الميلاد ، كما عُرف عنها كثرة مزاراتها ، وهي بلدة عامرة عبر العصور . انظر :مجموعة خبراء المنظمة الدولية للثقافة والتربية والعلوم ، المرجع السابق ، ص 56

(51) المرجع السابق. ص. 18

(52) المرجع السابق. ص. 21

(53) المرجع السابق.، ص.21
(54) المرجع السابق.، ص. 20
(55) السقاف، المرجع السابق ، ص . 493
(56) المرجع السابق، ص. 490-491
(57) ناجي، المرجع السابق ، ص. 149 نقلاً عن مقالة عالم الآثار الفرنسي أدموند بوتي E. Pauty حول (المدن الذاتية والمدن المخلوقة)، أي المدن التي نمت وتطورت نتيجة موقعها الجغرافي والتجاري. وتلك المدن التي تأسست بأمر الحاكم ومقراً لحكمه وتطورها من قوة سلطته وضعف تطورها التمدني من انهيار سلطته أو زوالها.
(58) جعيط، هشام : الكوفة – نشأة المدينة العربية الإسلامية، ط. الأولى، الكويت، 1986، ص. 197
(59) المرجع السابق، ص. 199.
(60) ابن خلدون، المرجع السابق ، ص. 326-327
(61) السقاف، المرجع السابق ، ص. 526
(62) ابن خلدون، المرجع السابق ، ص. 560
(63) الانباري، عبد الرزاق: حضارة الإسلام وفقراء العالم، مجلة سبأ، العدد 9، ط. الأولى، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، عدن 2000، ص. 104
(64) جعيط، المرجع السابق ، ص. 199
(65) الحسن ، المرجع السابق ،ص. 31-32
(66) ناجي، المرجع السابق ، ص. 149. نقلاً عن بلانهولاكسفير: The world of Islam. New York, 1959, P. 7-8.
(67) المرجع السابق، ص. 149.
(68) المرجع السابق، ص. 149-150.

المصادر والمراجع:

- بالباس، ليوبولدو تورّس : المدن الأسبانية الإسلامية، ترجمة: إليودورو دي لابنيا، ط. الأولى، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات، الرياض، 2003م.
- بريتون، جان فرانسو وآخرون: وادي حضرموت (تنقيبات 1978- 1979)، المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف، عدن 1980م.
- بيستون، الفريدوآخرون: المعجم السبئي، دار نشرياتبيترز لوفان الجديدة، مكتبة لبنان،بيروت 1982م
- البكري ، صلاح عبدالقادر: تاريخ حضرموت السياسي، جزء 2، ط. الأولى، مطبعة مصطفى الحلبي، مصر 1936.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت808هـ): مقدمة ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر للطباعة والنشر، ط. الأولى، بيروت، الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسني (ت 356هـ): الأغاني، جزء 21 ، مطبعة التقدم، مصر، 1323هـ .
- الأعثم، أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفي (ت 314هـ): الفتوح، جزء1 ، ط. الأولى ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر أباد الدكن ، الهند، 1968الأكوع .
- إسماعيل بن علي : البلدان اليمانية عند ياقوت الحموي ، ط. الثانية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت، 1988م .
- الأنباري ، عبد الرزاق: حضارة الإسلام وفقراء العالم ، مجلة سبأ، العدد 9 ، ط. الأولى ، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، عدن 2000م.
- جعيط ، هشام : الكوفة – نشأة المدينة العربية الإسلامية، ط. الأولى، الكويت، 1986م.
- جمال عليان، الحفاظ على التراث الثقافي، سلسلة عالم المعرفة، العدد 322، المجمع الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2004م.
- جواد علي : أصول الحكم عند العرب الجنوبيين، مجلة المجمع العلمي العراقي، مجلد31، الجزء الثاني، بغداد 1980م.
- الحسن، أحمد وآخرون : التقنية في الحضارة الإسلامية، ترجمة: د. صالح خالد ساري، ط. الأولى، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت، 2001م.
- الحسيني ابن جندان، سالم بن أحمد بن الحسين بن صالح العلوي: مختصر كتاب الدرر والياقوت في معرفة بيوتات عرب المهجر وحضرموت، اختصره د. عمر بن محمد عمر باحاذق، ط. الأولى، شركة كنوز المعرفة، المدينة المنورة، 2001م.
- الحموي ، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت (تـ 626 هـ) : معجم البلدان ،جزء 4 ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لا .ت.
- رديونوف، ميخائيل: البحث الأثنوغرافي في حضرموت: نتائجه وآفاقه، ترجمة ومراجعة: سرجي فرانسوزوف وعبد العزيز بن عقيل، مجلة آفاق، العدد 8، اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين، حضرموت، 1985م.
- سارجنت، آر.بي: المدينة الإسلامية ، الترتيب الطبقي الاجتماعي في شبه جزيرة العرب، ترجمة: إبراهيم السامرائي، دار الفكر، عمان، 1985، مستل من الكتاب موضوعه : الترتيب الطبقي الأجتماعي في شبه جزيرة العرب ، نشر بمجلة الدراسات الشرقية والأفريقية، المجلد 32، لندن 1959م.
- السقاف، عبد الرحمن بن عبيد الله : معجم بلدان حضرموت المسمى إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت، تحقيق: إبراهيم أحمد المقحفي، ط. الأولى، مكتبة الإرشاد، صنعاء، 2002م.

- الصبان، عبد القادر محمد: تعريفات تاريخية عن وادي حضرموت، المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف، المكلا، 1979م.
- العمري ، حسين عبدالله : تريم ، الموسوعة اليمنية، ط. الأولى، تنفيذ دار الفكر المعاصر، بيروت 1992م.
- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت 346هـ): مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مجلد 4، ط. الخامسة، دار الفكر 1973م .
- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: مناهج المستشرقيين في الدراسات العربية الإسلامية،جزء 2، مكتب التربية العربي لدول الخليج، تونس 1985م
- الهمداني ، الحسن بن أحمد (ت 350هـ): صفة جزيرة العرب تحقيق: محمد بن علي الأكوع، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد 1989م الإكليل ،جزء8، حقيق : نبيه أمين فارس ،ط.1940م.
- لوندين، أ.ج : ثقافة العربية الجنوبية في القرن السادس، ترجمة: إحسان عبد ا لجليل، الثقافة الجديدة، العدد 2، عدن، 1987م
- مارسيه ،جورج : أثر الإسلام في المدينة وإظهار وحدة المدينة الإسلامية وتشابه عناصرها التمدنية، مقالتان هما:

– تصور المدن في الإسلام، مجلة: in Revue d' Alger 11/1945

– التمدن الإسلامي،مجلة occident musulmanMelanges d' Histoire et el Archeologie de L' 1/ 1957. ترجمة د. عبد الجبار ناجي ، المدينة العربية الإسلامية في الدراسات الاجنبية "دراسة نقدية مقارنة"، المورد، العدد الرابع، مجلد 9، بغداد 1980م

- مجموعة خبراء المنظمة الدولية للثقافة والتربية والعلوم : مواقع أثرية ، المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف، وزارة الثقافة ، عدن ، يونيو1980م
- ناجي ، عبدالجبار : المدينة العربية الإسلامية في الدراسات الأجنبية "دراسة نقدية مقارنة"، المورد، العدد الرابع، مجلد 9، بغداد 1980م
- Al ford, Robert R., "Explanatory variables in the Comparation study of Urban Politics and Administration" in Comparative Urban Research. The administration and politics of cities, ed. By. Robert T. Daland, U.S.A. 1969.
- Boudling, Kenneth E.; "The death of the city: Afirghtened Look at Past Civilization" in the Historian and the City.
- Coulanges, Fustal: The Ancient City: Astudy on the Religion -Laws, and Institutions of Greece and Rome, New York
- Grunebaum, Von; The moslim town and the Hellinstic, London, 1961
- Sjoberg, Cideon: "Theory and Research in the Urban Sociology study of Urbanization, ed, by Philip M. Hauser and Leo F. Schnore ,2 nd ed. U.S.A. 1966 .
- Toynbee, Arnold: Cities on the move, oxford, 1970.

the Urbanization of the city of Tarim in Islam

Nagi Alkathiri*

Abstract

Cities in Islam are more fond of renewal and more impressed with the knowledge. So it is necessary to have an interest in changing towards urbanization that relate to the culture of civility motivated by the reflection of ideology and dogma . Tarim is one of the cities known for its trove passion for urbanization. and Islam paved the way to transfer it towards urbanization. This urbanization is unique in the south Arabian Peninsula and known with its cultural and architectural advantages.

The citizens of Tarim adapted the means of technology and urbanization towards the development of their cultural community by the hands of skilled people. The Islamic models and their influence are clearly seen on the evolution of the community civilized units. The School Foundation surrounding the mosque and the diversity of architecture reflect the early Islamic Cultural urbanization of the city, and added beautiful scenic features to Tarim civility . This has shown the dynamic effect of urbanization and the increasing attractiveness of change on the city community development, and crystallized the renewable urbanization with Islamic characteristics.

* Associate Professor at Hadhramout University, College of Arts, Department of History.